المعجم العبري بين الملابسات التاريخية والواقع اللغوي(*)

د. أحمد شحلان
مدير مكتب تنسيق التعريب

يتناول بحثنا، المعجمَ العبري تاريخا ومشاكل وتطلعات. ويجمل زمنا بدأ حوالي القرن الثالث أو الثاني عشر ق . م.، ويمتد إلى يومنا هذا. ويتعرض لمجموعة إنسانية شغلت حيزا جغرافيا ترامت أطرافه، فكانت شرقا أوسطيا، وغربا إسلاميا. فأوربا غربية وشرقية، وهي مجموعة تحدثت وكتبت لغة تباعدت زمنا وتباعدت أقواما وسكنا، بدأت شرقية سامية، يريد أهلها الآن أن يغيروها لتصبح غربية غربية.

ويأتي الموضوع كالتالي :

I – مصادر اللغة العبرية.

II – المعجم العبري حتى العصر الوسيط.

III – المعجم العبري في عصر التنوير اليهودي والعصر الحديث.

I – مصادر اللغة أو مصادر المعجم العبري، وهي :

1 – لغة التوراة. 2 – لغة التلمود والمِدْرَشِيم[1]. 3 – لغة العصرِ الوسيط. 4 – أدب الهسكلا[2]. 5 – الآداب الحديثة. 6 – الألفاظ والعبارات الأجنبية التي تَعَبْرَنَت.[3]

1 – لغة التوراة : أي العهد القديم. لم يصل البحث التوراتي إلى تحديد تاريخ بداية الكتابات التوراتية، وينتهي عهدها في المائة الخامسة أو الرابعة ق.م. وتجدر الإشارة إلى أن العهد القديم لم يضم كل اللغة العبرية المعاصرة له، وأنه يضم جزءا كبيرا مكتوبا باللغة الآرامية، ولم يخل من الدخيل، فبه آثار آكادية وسومارية ومصرية وفارسية ولغات أخرى[4]. ولغته فقيرة، إذ لا يتعدى معجمه 8000[5] كلمة، استيقت من مجتمع بدوي

(*) تمثل هذه المساهمة خلاصة مؤلَّف في طور الإعداد، وقد قُدِّمت في حفل تكريم الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال ولم يسبق نشرها.

(1) يعني التلمود لغة، الدرس والتعليم، وقد كتب باللغة العبرية والآرامية، إذ يتكون من :
أ ــ المِشْنَا أي التوراة الشفوية التي بدأت أسانيدها منذ ظهور اليهودية حتى 220 م.
ب ــ الكُمْرَا أي الشروح والتفاسير والتعاليق التي تعتمد أساسا نص التوراة، وهي أعمال قام بها شيوخ وتلامذة الأكاديميات اليهودية الفلسطينية والبابلية (العراق) ما بين 220 م ــ 500 م. والتلمود تلمودان، أحدهما فلسطيني ويدعى يروشليمي (ق 4)، وثانيهما التلمود البابلي (ق 5) وهو أهمها.
والمِدْرَشِيم مفردها مِدْرَاشْ، وهي الآداب الدينية اليهودية التي يدور معظمها حول تفسير التوراة، وتعتمد المثل والحكاية، وقد تكون رأيا تأويليا لحبر من الأحبار. والآداب المِدْرَاشِية هي الكتابات الرِّبِّية التي كُتبت بعد جَمْع التلمود. ويعد كل اجتهاد ديني يتخذ النص التوراتي أساسا له «مِدْرَاشْ» ولذلك يمكننا أن نجد كتابات حتى في عصرنا الحاضر، يطلق عليها هذا الإطلاق.

(2) الهسكلا : اصطلاح يعني حرفيا العقلانية، ويطلق على حركة ظهرت في عصر التنوير اليهودي أي في القرن الثامن عشر. وتدعو إلى استعمال اللغة العبرية الصافية أداة لنقل الآداب العالمية أو خلق أدب معاصر إذ ذاك. وقد ارتبطت بالحركة التحريرية اليهودية التي كانت تدعو إلى الحفاظ على الهوية اليهودية دون الانعزال عن المجتمعات الأوربية التي كانت تعيش بها هذه الطوائف اليهودية.

(3) אברהם, בן שושן, המלון החדש, ירושלים, 1971 (הקדמה)
(مقدمة ابن شوشان، المعجم الحديث، القدس 1971).

(4) קשטר, תולדות מחקר הלשון, תשכ"ט, ע, 13
(قشطر، تاريخ البحث اللساني) 1969 ص 13.

(5) CHAIM RABIN, ARIEL : 21, P 27

رعوي، فنما لذلك معجم (لغة) الظواهر الطبيعية المرتبطة بهذا الواقع، وقلت معاني التحضر والعمران والتجارة والمهن[6].

2 – لغة التلمود والمِدْرَشِيم. وتسمى لغة الرِّبِّيين ولغة المشنا[7]. وتختلف لغة هذه المصادر عن لغة التوراة نظرا لتأثيرها بالآرامية، وتباعد العهد بينها وبين أصولها، وكثرة الكتابات والمتطلبات. وفيها أيضا دخيل من الآكادية والفارسية واليونانية، وقليل من اللاتينية. أما الآرامية فقد كان لها في لغة التلمود والمدرشيم تأثير كبير في الشكل والمضمون، بل أصبحت لغةُ الربيين خليطا من العبرية والآرامية، وذلك لأنها كانت لغة حديث، إضافة إلى كونها لغة بحوث دينية وتفسير[8].

3 – لغة العصر الوسيط. ظلت لغة اليهود في الشرق، خصوصا في العراق، تسير على المنوال الذي أشرنا إليه أعلاه. ثم تضاءلت اللغات اليهودية مع مجيء الإسلام وانتشار العربية[9]. فأصبح لسان اليهود لسانا عربيا كتابة وحديثا[10]. ثم تمكن اللسان العربي من الفكر اليهودي في موطن ازدهارهم الجديد، أي في الأندلس. فألف مفكروهم وعلماؤهم وفلاسفتهم ولغويوهم، باللغة العربية، مؤلفاتهم العلمية والفلسفية، بل والعقائدية، في حين حافظوا على اللغة العبرية في أشعارهم وكتب تشريعهم. ولم يكن استعمالهم اللغة العربية استعمالا وظيفيا استفادوا منه في كتاباتهم وحديثهم، وإنما تأثروا أيضا بمناهج البحث العربي الإسلامي، في كتبهم التفسيرية والنحوية واللغوية وأشعارهم وآدابهم[11] وفي مجادلاتهم العلمية التي لم تخل أحيانا من عنف. واهتموا في نفس الوقت بالعلوم الحقة من رياضيات وكيمياء وطبيعيات وفلك وتنجيم وفلسفة في لغتها العربية أخذا وتأليفا، حتى القرن الثاني عشر الميلادي. وعندها طرأ تغير على واقعهم في أرض الأندلس، فهاجر الكثير منهم جنوبا إلى أرض المغرب العربي، وشمالا إلى إسبانيا المسيحية وجنوب فرنسا. ثم كانت الهجراتُ الكبيرة في أواخر القرن الخامس عشر، أي بعد خروج العرب واليهود من الأندلس، وعندها وجد اليهود بين أيديهم، بعد هجرتهم، تراثا ضخما يهوديا وإسلاميا مكتوبا باللغة العربية بحرف عبري، فدعتهم الحاجة إلى ترجمته للغة العبرية[12] حتى يستطيع اليهود الذين ترك آباؤهم الغرب الإسلامي، والذين لم يحظوا بشرف النبتة في روض الأندلس، الإطلاع على هذا التراث. وكانت لغة هذه الترجمات، ولغة علماء اليهود الذين عاشوا في الأندلس وأولئك الذين هاجروا إلى شمال إسبانيا وجنوب فرنسا فإيطاليا، مع بعض كتابات يهود المشرق، هي اللغة التي يطلق عليها لغة العصر الوسيط. وكان من الطبيعي أن تكون الميزة الغالبةُ على

---

(6) نجد مثلا ثمان عشرة لفظة للشوك، وعشرين للآبار وقنوات السقي، وكثيرا من أسماء المطر والسحاب وكثيرا من المترادفات المتعلقة بالمحيط البدوي، في حين أن ألفاظ العمران والصنائع والتجارة والمهن، جاءت بلغات غير العبرية. (قشطر، ص 15).

(7) انظر هامش 1.

(8) قشطر ص 49، وانظر في موضوع الدخيل في التوراة والمشنا: A. NEUBAUER, Notice sur la lexicographie hébraique, journal Asiatique, Décembre 1861, P 443 - 445.

(9) لم تنقطع اللغة العبرية تماما عن الاستعمال، ولكنها ظلت منحصرة في البحوث الأكاديمية الدينية.

(10) خير ممثل لهذا التحول هو سعديه گؤون الفيومي في مصر، وهو أول من ترجم التوراة إلى العربية.

(11) انظر مقالنا موسى بن عزرا، المحاضرة والمذاكرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط العدد العاشر، 1984، ص 65.

(12) لا يعني هذا أن اليهود لم يترجموا أعمالهم إلا بعد هذه الفترة، بل الواقع أنهم كانوا، حتى قبل هذه الفترة، يترجمون كتبا عربية إلى اللغة العبرية لدواعي كانت تدعو إلى ذلك، غير أن حركة الترجمة لم تزدهر إلا بعد هذه الفترة لأسباب سياسية وعلمية وعقائدية لا مجال لذكرها هنا.

هذه اللغة، هي المسحة العربية أسلوبا وصياغة ونهجا علميا، مما أغنى معجمها ألفاظا وصيغا واقتباسا وصناعة.

4 – الْهَسْكَلاَ، أو لغة عصر التنوير اليهودي[13]. وهي نتيجة لرياح عصر النهضة الأوربية التي هبّت على يهود الغرب. والهسكلا حركة فكرية اجتماعية ظهرت في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر في أوربا الوسطى وألمانيا والنمسا ثم روسيا فأوربا الغربية. وكان الهدف منها تحرير اليهود من نير ما ظلوا يرزحون تحته من خنوع، والاعتراف بحقوقهم المدنية، فهي إذاً حركة سياسية تدعو إلى خلق هوية يهودية في الأوطان التي يوجد بها اليهود، وكان نتيجة لهذا التطلع، أن رأى مفكرو اليهود أن طريق التحرر تبدأ أولا من اليهودي نفسه، إذ عليه أن يتخلى عن تقاليده العتيقة وثقافته التقليدية التي بليت في زوايا البيع المظلمة[14]. ورأوا أيضا أن اللغة العبرية يمكن أن تكون أداة لهذا الفكر اليهودي التحرري، شريطة أن يستعملها اليهود في نقل الآداب الإنسانية العالمية. فظهرت حركة ترجمة نشيطة، ترجمت أمهات الآداب الروسي والآداب الغربية عامة، وكتب اليهود أنفسهم روايات وشعرا استوحوا مواضعها من التوراة، ولكنهم أضفوا عليها واقع الحياة المعاصرة[15]. ونظراً لأن بداية عصر النهضة الأوربية كانت دعوة للرجوع إلى الأصول والعودة إلى الآداب الكلاسيكية، فإن مفكري التنوير اليهودي اعتمدوا أسلوب لغة التوراة الصافي في كتاباتهم، أدبية كانت أم صحفية، ودعوا إلى إيجاد لغة واحدة مشتركة لدى كل اليهود، ورفضوا استعمال اللغات اليهودية الأخرى مثل الْيِدِشْ واللاَّدِينُو[16].

5 – الآداب الحديثة. فشلت دعوة مفكري عصر التنوير اليهودي، وهي الدعوة التي تدعو إلى إدماج اليهود في الأوطان التي يوجدون بها كحل لمشكلة اليهود. وكان نتيجة لأسباب سياسية معروفة، أهمها ولادة الصهيونية الحديثة مع تيودور هرتسل 1894، فوعد بلفور سنة 1917، أن بدأ عهد جديد للغة العبرية وآدابها، وهو العهد الذي نعرفه اليوم، فأصبحت اللغة العبرية لغة أدب وعلم وصحافة وحديث، لغة للمفكرين والعلماء والسوقة والعوام. وهو انقلاب حدث في تاريخ اللغة العبرية لابد وأن يدعو إلى إيجاد سيل من المعاجم، وفي مختلف المجالات. ولابد من أن يستعمل عديدا من اللغات للهدف المعجمي نفسه، أو للضرورة العلمية التي قضت بإيجاد مصطلح جديد لاحتياجات الحياة المعاصرة والبحث العلمي، وهذا ما يكون الرافد السادس كما أدرجنا ذلك في بداية البحث.

* * *

II – الحركة المعجمية

توقف استعمال اللغة العبرية تداولاً مع النفي البابلي وسلطان الآراميين، وعندها أصبحت اللغة الآرامية لغة الحديث والكتابات الدينية لدى اليهود،

---

(13) لم تكن نقلة الفكر اليهودي من العصر الوسيط إلى عصر التنوير نقلة فجائية، بل كانت هناك حلقة ذات أهمية كبرى، تلك هي الحركة الفكرية الأدبية التي ظهرت في إيطاليا في القرن السادس عشر، وكان من روادها موشي حيم لوتساطو، انظر
תולדות הספרות העברית החדשה, פ. לחובר, גשכ"ו, חלק א
(تاريخ الأدب العبري الحديث، حوفر، ج 1. (الفصل الأول).

(14) ترددت هذه الدعوة في كثير من أشعار الشاعر نحمان بياليك (1873 – 1934)، وكان هذا الشاعر رأس المدرسة الشعرية العبرية الحديثة.

(15) تاريخ الأدب العبري الحديث (الفصل الرابع) من الجزء الأول.

(16) الْيِدِشْ : لغة «خليط» من الألمانية والعبرية، وهي لغة استعملها اليهود الأشكناز أي اليهود الغربيون في ألمانيا وأوربا الشرقية، ويعدها بعض الباحثين لهجة من لهجات ألمانيا. أما اللادينو فهي خليط من العبرية والاسبانية. وكان يستعملها اليهود السفرديون.
C. RABIN, La Renaissance de la langue hébraique, Ariel, N° 21, 1970, p. 25.

فكان من الضروري أن تترجم التوراة إلى اللغة الآرامية، وتعرف هذه الترجمة بـ : «التَّرْكُومْ»[17].

وإذا كانت الترجمة مرحلة أولى من عمل المعجم، أي معجم في انتظار الترتيب، فإن هذا العمل يعد أول معجم مزدوج كامل عرفته لغة التوراة. ولم يظهر معجم للغة العبرية أو لغة المِشْنَا في تلك العهود، وإنما كانت هناك حركة يمكن أن نسميها حركة معجمية تجاوزا، إذ ارتبطت بتفسير النص المقدس، كما عُرف ذلك في تفسير القرآن عند ابن عباس وكبار المفسرين الذين كانوا ينطلقون من درس لغوي نحوي لينتهوا أخيرا بدرس أصولي أو شرعي أو بلاغي.

وأول معجمي يهودي هو سَعْدِيه كْؤُون الفيومي (882 - 942)، وهو عالم من علماء اليهود وشيوخهم، مصري المولد والنشأة، وكان من كبار العلماء بالأكاديمية اليهودية بالعراق، وله معجمان، أحدهما الاكْرون[18]، وهو كتاب لغة وشعر، إذ قسمه صاحبه قسمين : قسما رتب فيه اللغة ترتيبا ألفبائيا، وقسما رتب فيه القوافي على نفس الطريقة. وكان هدفه إحياء لغة التوراة وإبعاد الدخيل عن لسان علماء التلمود. والمعجم الثاني هو كتاب السبعين لفظة[19]، وهي الألفاظ التي وردت مرة واحدة في التوراة. وقد فسر هذه الألفاظ بلغة علماء التلمود. كما استعمل اللغة العربية في تفسيره لغوامض الكتاب المقدس. وتعتبر ترجمة التوراة إلى العربية أيضا، أول معجم عبري عربي وقف في مرحلته الأولى، أي ما قبل الترتيب الألفبائي، كما رأينا في ترجمة التركوم السابقة الذكر[20].

وكان يعاصر سعديه، يهودا بنُ قريش الطاهري، الذي أسمى معجمه رسالة إلى يهود فاس[21]. والأصل في عمله هذا هو تنبيه يهود فاس إلى أهمية استعمال الآرامية التوراتية، فبين لهم أن التوراة تحتوي عديدا من اللغات وكلها مقدس. وجاء في معجمه هذا كثير من الآرامية والعربية واللاتينية

(17) التَّرْكُوم : جمعه تَرْكُومِيمْ، وتعني الترجمة. إذ حدث بعد النفي البابلي أن توقفت العبرية عن الاستعمال في فلسطين، فحلت محلها اللغة الآرامية، فكانت النصوص المقدسة التي تتلى في البيع وفي المناسبات الدينية، وهي نصوص عبرية، تشفع بترجمة آرامية. ومن هنا سميت التَّرْكُومْ أي الترجمة. أخذت هذه الترجمات طابع الدرس والتأويل والشرح على مر الزمن فكونت تراثا لم تبق لسوء الحظ أعماله الأولى. ويرجع تاريخ أول تركوم كامل وصلنا إلى القرن الأول الميلادي، وهو تركوم للعهد القديم. وأشهر التركوميم تركومان : تركوم انكلوس، وهو ترجمة التوراة، أي القسم الأول من العهد القديم، وينسب لاكلاس، وتركوم يونتان، وهو ترجمة الأنبياء أي القسم الثاني من العهد القديم.

ALEXANDRE SPERBER, The Bible in aramic

V.I The Pentateuch/according to Targum ONKELOS (1956)

V.II The former Prophets according to Targum JONATHAN (1956)

V.III The latter Prophets according to Targum JONATHAN (1962)

(18) انظر حول هذا المعجم قسطر ص 14.

(19) כתאב אלסבעין לפטה, רב סעדיה גאון, ז"ל ע"י נחמיה אלוני, ירושלים תשט"ז

(كتاب السبعين لفظة لسعديه كْؤُون، حققه نحميا الوني القدس 1956).

(20) كتبت الترجمة بحرف عبري كالعادة، ونشرت مرارا في تفاسير التوراة، ويشترك صاحب هذا البحث، مع مجموعة من الباحثين، في المركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي، في إعداد نشرة علمية بالحرف العربي وترجمة فرنسية، مع دراسة عقائدية لغوية لنص سعديه كْؤُون. وظهر الجزء الأول من هذا العمل تحت إشراف Haïm Zafrani et André Caquot بعنوان La Version arabe de la Bible de Sa'adya Gaon. L'Ecclesiaste et son commentaire «Le Livre de L'Ascèse» Maisonneuve et Larose Paris 1989

(21) طبعت الرسالة مرارا، وظهرت آخر طبعة منها في حوالي أربعمائة صفحة، سنة 1984، بعنوان הרסאלה של יהודה בן קריש بتل — أفيف.

وهي أهم طبعة ظهرت لهذا المعجم، ويعد تحقيقها هذا أكمل تحقيق وهو لـ دَن بقر، الذي نشر النص العربي بحرف عبري مع الترجمة العبرية.

والبربرية. وعليه فابن قريش، يعد من أوائل المقارنين، كما أن معجمه يعد اللبنة الأولى في هذا الباب[22]. وظهر بقرطبة كبار أعلام اللغة العبرية، مثل مناحم بن سروق (ق.10) صاحب كتاب «الكناشة»[23] מחברת .ودوناش بن لبراط، صاحب كتاب תשובות «الأجوبة»[24]. ويهودا حيوج (منتصف القرن 10) صاحب كتاب «الأفعال المعتلة»[25]. وأبو الوليد مروان بن جناح (النصف الأول من القرن 11) وهو أهمهم جميعا، وله عديد من المؤلفات، أشهرها كتاب «التنقيح» الذي قسمه إلى قسمين، قسم خاص بالنحو وأسماه اللمع[27]، وقسم خاص باللغة وأسماه الأصول[28]. وظهر في آخر المائة الحادية عشرة بالأندلس كذلك، إسحق بن برون، صاحب كتاب «الموازنة بين اللغتين العبرانية والعربية». ويختلف هذا الكتاب عن سابقه، أي عن مؤلف ابن جناح. فإذا كان هذا الأخير يشرح النحو واللغة العبرية بالعربية، فإن ابن برون كان يقارن بين النحو العبراني والعربي واللغة العبرانية والعربية[29]. ولذلك فإنه قسم أيضا الكتاب إلى قسمين، قسم خاص بالنحو وقسم خاص باللغة، أي المعجم.

وظهر في القرن الثاني عشر أبو سليمان داود ابرهام الفاسي، وهو أحد كبار المعجميين القرائين، ومعجمه هو האגרון «الأكرون» أو كتاب جامع الألفاظ[30]. وقد أسسه على ثنائية الجذر، وبناه على مذهب القرائين اليهود، أي الذين لا يقبلون أصلا لليهودية إلا التوراة، ويرفضون سائر كتبها الأخرى مثل التلمود والمدرشيم.

(22) هذا هو الشائع في الدراسات المعجمية، والظاهر أنه كانت هناك معاجم قبل هذه الفترة غير أنها ضاعت. اذ الف الربي צמח בן פלוטי (صمح بن بلوطي) من علماء القرن التاسع، معجما للغة التلمود (تاريخ يهود الأندلس ج 1 ص 89 (بالعبرية)) وهناك معجم آخر بعنوان פרוש גאונים לסדר טהרות (تفاسير الفقهاء لكتاب الطهارة) مجهول التاريخ والمؤلف. ويعتقد البروفسور (يـ. ن.أفشطاين) أن مؤلفه هو شمعون قيارا في نهاية القرن التاسع. وعليه فهو سابق حتى عن معجم سعديه. وقد استعملت المقارنات اللغوية في هذا المعجم، فضم لغة التوراة والأحبار والتركوم والعربية. وشرح كلمات من اليونانية والفارسية. فهو إذاً أول كتاب لغوي مقارن. نشر المعجم أفشطاين مع مقدمة بالألمانية، ثم أضاف ملحقا له في مجلة תרביץ ט"ז, תשה (تربيص عدد 16)

(23) מחברת, מנחם בן סרוק. צ"ה פיליפוסקי לונדן תד"ר
(محبرت منحم بن سروق، نشرة بيليفوسكي [illegible])

(24) يدخل هذا النوع من التآليف في باب الخلاف في النحو لدى اليهود، إذ يعتبر هذا الكتاب ردا على ما جاء في كتاب «الكناشة» لابن سروق.

(25) يقول فيه موسى بن عزره، صاحب كتاب المحاضرة والمذاكرة : «فكان أول المؤلف [ين] (هكذا) أبو زكريا يحيى بن داود الفاسي ثم القرطبي كتابه في جملة النحو العبراني، الملقب باسمه حيوج...» ص 56. ويقول أيضا صاحب المحاضرة في دوناش أنه بغدادي الأصل فاسي النشأة ص 58.

(26) من مؤلفاته : كتاب المستلحق ورسالة التنبيه ورسالة التقريب والتسهيل وكتاب التسوية وكتاب التشوير. ونشر DEREMBOURG هذه النصوص باستثناء الأخير في كتاب «كتب ورسائل» لأبي الوليد مروان بن جناح القرطبي، باريس — MDCCCLXXX.

(27) نشر DEREMBOURG نصه العربي بحروف عبرية سنة 1886. ونشر ترجمته العبرية، وهي ترجمة يهودا بن تبون (ق 12)، كولدبرك بفرانكفورت 1856، وأخرج م. ولنسكي النص من جديد ببرلين سنة 1929. ثم نشرت الأكاديمية العبرية سنة 1964 ترجمة أخرى لـ د. طنا. وكان قد ترجم إلى الفرنسية ونشر على يد م.مصكر بباريس 1889. والكتاب موضوع لعديد من الأطروحات الجامعية في الخارج. وكان موضوع أطروحة بكلية الآداب بجامعة الحسن الثاني بالدارالبيضاء.

(28) نشره بحروف عربية NEUBAUER بأكسفورد سنة 1875. ونشر باكر ترجمة يهودا بن تبون ببرلين سنة 1897، ثم تعددت نشراته فيما بعد سواء بالعربية أو العبرية.

(29) نهج ابن برون في كتابه هذا، نهج المقارنة بين اللغة العبرانية والعربية والسريانية (القسم الثاني). وهو الكتاب الوحيد الذي عرف للمؤلف، أخرج ما بقي منه المستعرب الروسي KAKOUVTSON بسنت بترسبورك (لنينغراد) سنة 1890. ثم أضاف إليه بعضا مما عثر عليه سنة 1916. ترجمه إلى الانجليزية بتصرف P.WECHTER, Ibn Barun's Arabic, Work's on Hebrew Grammar and Lexicography, Philadelphia, 1964 وسننشر نصه العربي محققا عما قريب.

(30) أخرجه في نشرة مختصرة S.L.SKOSS, The Bible Known as Kitāb Jāmi ʿAl-alfāẓ (Agron) of Divid ben Abraham Al-FAsi, Yale Oriental Series, Researches xx, xxI New Haven (1936-45)

وتتابعت الحركة المعجمية، سواء في كتب التفسير أو في كتب المعاجم الخاصة[31]، مثل معاجم الأفعال، أو في معاجم عامة، سواء في الأندلس أو في جنوب فرنسا. غير أن أسلوبها ونهجها قد تغير، فلم تعد اللغة العربية لغة تحريرها. كما أن منهجية المقارنة فيها لم تعد ذات بال، وهذا طبيعي، إذ لم يعد اللسان العربي لسان العلماء اليهود، فتغير لذلك هدف المعجم، فبعد أن كان الهدف منه، إضافة تفسير الغامض من لغة التوراة، الغَوْصَ في عمق العبرية وبلاغتها، إنطلاقا من ثقافة عربية عرف أصحابها الخليل[32]، وابن المعتز، وعلماء البلاغة والبيـان العربيين، أصبح القصد من المعجم ومن التأليف اللغوي العبري عامة، دراسة اللغة العبرية لذاتها، وفهم نصوصها. ومن المعجميين الذين قاموا بهذه المهمة : ابراهام بن عزرا (ق.11) بالأندلس، وشلمه بن اسحق (ق.11 – 12)، ويوسف قمحي وموسى قمحي (ق. 12 – 13) بفرنسا، ونتن بن يحيل، وشلمه بن فرحون بإيطاليا.

فما هي المميزات التي ميزت هذه المعاجم الوسطوية ؟

1 – أول ما يميزها أنها تأثرت بالمدارس المعجمية العربية المعروفة إذ ذاك، إذ بالاضافة إلى أن جلها، وخصوصا أمهات المعاجم، كتبت بالعربية بحروف عبرية، فإنها نهجت نهج المعاجم العربية الموسوعية، إذ تنطلق من ترتيب ألفبائي لشرح اللفظة شرحا لغويا، غير أنها تستقرىء نصوص التوراة وغوامضها بحثا عن المعاني المختلفة، مستعملة وسائل الاستنباط والاستقراء والتأويل والمقابلة.

2 – القصد الأول من المعاجم في الأندلس هو تفسير النص المقدس، فهو الهدف الأول والأخير. وإذاعرف التفسير الإسلامي جدل المذاهب من اعتزال وظاهرية، فإن المعجم العبري أيضا عرف جدل الربيين والقرائين[33]. فقامت خصومات مشهورة حول التأويل القريب والبعيد، لم تخل منها كتب الفلسفة والكلام اليهودية، مثل كتاب دلالة الحائرين لابن ميمون[34]. كما ظهرت خصومات أخرى تشبه الخصومات الواردة في كتب الخلاف والمدارس الأصولية والنحوية، منها ما دار حول العقيدة ومنها ما دار حول عدد حروف الجذر ومنها ما دار حول صلاحية الاستشهاد بالعربية.

3 – ظهور المقارنات اللغوية. تعد المعاجم العبرية العربية أول المعاجم المقارنة في الساميات. وذلك كان نتيجة لواقع يهود الأندلس والغرب الإسلامي، فلغتهم العلمية هي العربية ولغة كتابهم المقدس والتلمود هي العبرية والآرامية، والآرامية أمّ للسريانية. وقد عاشوا يتنقلون بين إسبانيا المسلمة والمسيحية، إما لأعمالهم التجارية أو للمهام الدبلماسية التي كلفهم بها أصحاب السلطان أو لأسباب غير ذلك. فكان لابد

(31) مثل القاموس الذي وضعه صموئيل بن تبون لترجمته لكتاب ابن ميمون **دلالة الحائرين**. وقد أخرج منه المصطلحات الفلسفية الواردة فيه
פרוש מן מלים זרות

(32) ذكر ضدروس ضدروسي، وهو مترجم كتاب الخطابة لابن رشد إلى العبرية، منهجه في الترجمة ومدى استفادته من كتاب العين للخليل ابن أحمد. انظر :
E.RENAN, Ecrivains juifs français, Paris M.DCCCLXXVII. p 571
وانظر مقالة نحميا الوني : نتف من اكرون سعديه كؤون (بالعبرية) في مجلة תרביץ (تربيص) المجلد 19 عدد 2، 1948 ص 89، وذكر فيه أثر منهج جمهرة بن دريد في سعديه كؤون.

(33) انظر مقدمة السبعين لفظة لسعديه كؤون، وكتاب جامع الألفاظ لداود بن ابراهام الفاسي. وتعني لفظة الربيين عند اليهود، العلماء الذين اعتبروا نص التلمود وملحقاته امتدادا للوحي أو وحيا شفويا متمما للتوراة. أما القراؤون فهم العلماء الذين لا يقبلون إلا نص التوراة، أي «المِقرَا» ومن لفظ المقرا جاء اسمهم، والمقرا يقابل لفظ قرآن عندنا.

(34) انظر مقدمة الدلالة، وكذا الفصل الأول منه، وقد ترددت أصداء هذا الخصام في كثير من مواد كتاب الموازنة بين اللغتين لابن برون.

من أن يستعملوا اللغات القشتالية واللاتينية، بل عاش جلهم في أرض المغارب فاتصلوا باللغات الأمازيغية. فلاحظوا علاقة القربى والتآخي في الأخوات السامية الحامية، والتباعد بينها وبين اللاتينيات. ولذلك كانت هذه المعاجم، خصوصا معجم يهودا بن قريش، وأبي الوليد بن جناح، وإسحق بن برون، وداود الفاسي، معاجم مقارنة بالغة الأهمية والغنى.

4 – إن هذه المعاجم، وخصوصا المذكورة أعلاه، لم تتخذ العربية لغة تفسير وشرح ومقارنة وحسب، ولكنها اتسعت في المجالات الحضارية العربية الإسلامية، فنقلت الكثير من الشعر العربي جاهليه ومخضرمه ومولّده، والكثير من الأمثال والأقوال السائرة العربية جاهلية وإسلامية، بل منها الذي استشهد بالحديث والقرآن على صحة لغة التوراة مثل معجم ابن برون الموازنة.

5 – بعض هذه المعاجم، خصوصا معجم شلمه بن اسحق وشلمه بن فرحون، قد أدخل لغات أوربية إذ ذاك، مثل الفرنسية، ووصف بعض المظاهر الحضارية الأوربية.

6 – إن أمهات هذه المعاجم، خصصت قسما للنحو وقسما للمعجم، مثل تنقيح ابن جناح وموازنة ابن برون ومخلول داود قمحي[35].

7 – لم يخل التأليف المعجمي اليهودي في هذه الفترة، من الروح العقائدية المذهبية التي اعتبرت اللغة روح الوحي، والفعل مسلك الإدراك والفهم. فانتقل الخصام من عدد حروف الجذر إلى الأزمات السياسية داخل الطائفة ولدى ذوي النهي والأمر، ثم أصبح جدلا فلسفيا في كتب فلاسفة العصر الوسيط اليهود مثل ابن ميمون ويهودا اللاوي وابن وقار وابن جرسون وغيرهم.

* * *

III العبرية في عصر التنوير والعصر الحديث

لم يظهر للغة العبرية معجم يذكر في عصر التنوير اليهودي، إذ كان همّ المثقفين أثناء هذه الفترة، هو ترجمة الأعمال الأدبية العالمية إلى اللغة العبرية، وكان همّ النخبة وضع لبنات مذهب أدبي سياسي يدعو إلى الإندماج في المجتمعات المضيفة من جهة، والحفاظ على هوية ثقافية يهودية من جهة أخرى. وتجلت هذه الرغبة لخلق هوية ثقافية، في نشر كثير من آثار الفكر اليهودي الوسطوي في الثمانينات، من القرن التاسع عشر، خصوصا آداب يهود الأندلس وجنوب فرنسا، أدبا وفلسفة وعلوما ولغة، سواء المكتوبة بالعربية بحروف عبرية أو المكتوبة أصلا بالعبرية. كانت صحيفة «هَشَّحَر» (الفجر)، وهي صحيفة يهودية عبرية كانت تصدر بفيينا (بالنمسا)، منبرا يروج لآراء أهل التنوير الداعية إلى الإندماج في المجتمعات والحفاظ على الهوية. ثم حدثت أحداث كبرى بروسيا سنة 1880، فعرضت يهود هذا البلد إلى اضطهادات دامية، مما جعل محرر الصحيفة المذكورة، برتز سمولينسكين، يعيد النظر في أفكاره وما يعرض من آراء في صحيفته. ثم حدثت في فرنسا القضية المشهورة بقضية دريفوس[36]. فدفعت

---

(35) داود قمحي (1160–1235)، نحوي عاش بجنوب فرنسا، ألف كتبه النحوية باللغة العبرية أصلا. ويعتبر الواسطة بين الإرث النحوي الأندلسي واليهود الذين لا يعرفون العربية. قسم كتابه كذلك إلى قسمين، قسم النحو وقسم اللغة. قارن فيه بين اللغة التوراتية ولغة التلمود والآرامية. وترجم W.CHOMSKY القسم الخاص بالنحو إلى الانجليزية.

(36) دريفوس ضابط يهودي فرنسي اتهم بالخيانة العظمى سنة 1894، وقد أحدثت هذه القضية ضجة لم تشهد فرنسا لها مثيلا. فقسمت المجتمع الفرنسي إلى قسمين، إلى الذين يتهمون دريفوس والذين يبرؤونه، وكان من بين هؤلاء إميل زولا صاحب المقالة الشهرة في الموضوع «إني أتهم» ومن أهم المؤلفات التي ألفت حول هذا الموضوع كتاب **Joseph Reinach, L'histoire de l'Affaire Dreyfus, 1901-1911** وهو في سبعة أجزاء.

بصحفي شاب كان مراسلا للصحيفة المذكورة بباريس، إلى أن يكتب كتابا أصبح ذا شهرة في تاريخ الصهيونية، ذاك هو تيودور هرتسل، وكتابه الدولة اليهودية L'ETAT JUIF[37]. كانت الحادثتان وقودا جديدا أشعل نار المسألة اليهودية. وهذه المسألة هي التي عبّر عنها صحفي يهودي آخر في الصحيفة المذكورة سنة 1879، في مقال بعنوان سؤال ذو أهمية[38]. خلاصة المقال :

1 – إحياء وطنية يهودية عصرية. 2 – إقامة وطن يهودي بفلسطين. 3 – استعمال اللغة العبرية في الحديث اليومي واستعمالها لغة التدريس في المدرسة. والمقال هو في الحقيقة محاولة عكسية لمجريات التاريخ اليهودي. إذ اعتبر اليهود، منذ النفي البابلي، بقايا اللغة العبرية، أو بالأحرى اللغة العبرية الدينية، وطنا لهم يتعدى حدود الأوطان، ويزيل حواجز الزمن، وكان مقال اليعزر بن يهودا، وهو كاتب المقال المذكور، قلبا لهذه المجريات، إذ يريد أن يجعل من فلسطين وطنا يحتوي الوطن القديم الذي هو اللغة. ويريد أن يتخلص من اللاحدود التي كانت صفة مميزة لليهودية، ليضع اليهود في حدود جغرافية معروفة. كانت أحداث روسيا وقضية دريفوس، بالاضافة إلى النشاط السياسي الذي قام به هرتسل، أب الصهيونية الحديثة، عاملا مساعداً لتحقيق فكرة ابن يهودا. ولكنه كان أيضا عاملا مقلقا، إذ لا بد من لَمِّ شتات آلاف من اليهود المهاجرين من أصقاع متباعدة وبلغات مختلفة. وكان على ابن يهودا أن يحقق من جديد، معجزة بابل، بطريقة مقلوبة، فإذا كان قضاء الاله، كما جاء في التوراة، قد قضى ببلبلة الألسن وتفرقها وتشعبها واختلافها، فإن على ابن يهودا أن يقوِّم من شأن هذه البلبلة، وهذه الألسن، لتصبح لسانا واحدا هو العبرية. وتحققت له المعجزة كما قال هو نفسه في مذكراته[39]، وتحقق الحلم، أولا لأنه لم يكن ليصدق معجزة العودة، وثانيا لأن بين يديه لغة فقيرة كانت تصلح لمتطلبات ما بين القرن الثاني عشر قبل الميلاد والخامس الميلادي. ترك ابنُ يهوذا، عملا لتحقيق الحلم، المشكلَ الأول، مشكل الوطن، للسياسيين، وشمر ساعده للمشكل الثاني، أي مشكل اللغة. وبدأ ابن يهودا بعائلته، فكان طفله أول طفل تحدث العبرية دون غيرها في العصر الحديث.

فما هي الأدوات التي هيأها ابن يهودا لهذا الإحياء اللغوي والمعجم الجديد ؟ تعددت هذه الأدوات، غير أنها انطلقت من عزمه وقلة من أصحابه على أن يكون حديثهم بالعبرية وبها دون غيرها، لتكون بعد ذلك لكل اليهود، وسخروا لذلك وسيلتين : وسيلة سياسية ووسيلة فكرية. تكفلت الأجهزة الصهيونية بالوسيلة السياسية داخل فلسطين وخارجها، وسخرت لذلك كافة أجهزتها التنفيذية والتشريعية والنقابية والمالية، مثال ذلك الملتمس الذي قدمه الشاعر بياليك وصموئل ازنشطدط سنة 1927 إلى المؤتمر الصهيوني السابع عشر يدعوه فيه إلى مساندة لجنة إحياء اللغة العبرية، والتقريرين اللذين قدمهما المندوب السامي البريطاني سنة 1920 وسنة 1922. أما النشاط الفكري، فقد تجلى أولاً في التدريس باللغة العبرية في مدارس القرى منذ 1890. وثانيا في خلق جمعيات ونواد أدبية لغوية خارج فلسطين وداخلها. من ذلك : تأسيس لجنة إحياء اللغة العبرية التي رئسها ابن يهودا سنة 1890، تأسيس أول روض للأطفال بالقدس سنة 1903،

(37) HERZL Théodor (1860-1904) هو أب الصهيونية المحدثة، ألف كتيبه المشهور l'ETAT Juif على إثر الحادثة المذكورة. عقد أول مؤتمر صهيوني ببال (سويسرا) سنة 1897.

(38) RABIN, Ariel, N°. 21, p. 29

(39) החלום ושברו ,א.בן יהודה.ירושלים,תש"ל 1970.
(الحلم وتحقيقه، الي عزر بن يهودا، القدس 1970).

تأسيس لجنة من اللسانيين لإغناء اللغة سنة 1910، تأسيس لجنة أخرى بيافا سنة 1913، تأسيس صندوق الثقافة العبرية أثناء المؤتمر الصهيوني الحادي عشر بفينا، تأسيس مدرسة المعلمين العبرية بالقدس 1914، تأسيس جمعية أنصار اللغة العبرية 1928، اتصال لجنة إحياء اللغة العبرية بأكاديمية اللغة العربية بالقاهرة 1931،[40] تأسيس مجلس الثقافة العبرية باشتراك مع الجامعة العبرية وقسم التربية المنبثق عن اللجنة الوطنية ومركز الثقافة التابع لنقابة الهستدروت ونقابة المعلمين والعاملين في الإذاعة بفلسطين سنة 1946 ثم الإعلان عن أكاديمية اللغة العبرية 1948.

أما في خارج فلسطين، فقد تعدد نشاط هذا الإحياء بخلق مؤسسات ونوادي، كما حدث ذلك في روسيا سنة 1907، حيث ظهرت جمعية إحياء اللغة العبرية وجمعية ثقافية بموسكو سنة 1917، وفي برلين سنة 1923. وكان يواكب هذا النشاط الداخلي والخارجي، دعاية ثقافية منسقة، مثل : المحاضرة التي ألقاها مدير مكتب لجنة إحياء اللغة العبرية، د. صموئل ايزنشطدط، ببرلين سنة 1929 بعنوان «إحياء اللغة العبرية في فلسطين ونشاط لجنة الإحياء»، محاضرة يوسف قلوزنر بتل-أبيب سنة 1931 بعنوان «حاجات اللغة العبرية حاضرا»، محاضرة لنفس المحاضر سنة 1945 بعنوان «اللغة العبرية تدعو إلى قيام دولة عبرية»، محاضرة ايزنشطدط في نفس السنة بعنوان «تطور اللغة العبرية في سنوات الحرب» وأخرى له سنة 1947، بأكسفورد، بعنوان «ستون سنة من إحياء اللغة العبرية».

وبالرغم من هذه الجهود السياسية والفكرية التي كانت نتيجة لنشاط ابن يهودا مدة حياته ــ واستمرت بعد موته ــ فإن هذا الأخير ظل يشعر بحاجة اللغة العبرية إلى معجم عصري شامل يستجيب لرغبات الشارع والبيت والمدرسة والإدارة والطالب والعسكري والسوقي والعالم. فكرّس ما بقي من حياته، أي منذ هجرته إلى فلسطين حتى وفاته سنة 1922، لإعداد معجم **العبرية الحديثة**. وقد أسس منهجه على رفض دعوى مفكري عصر الأنوار (النهضة اليهودية)، الذين يتشبثون بلغة التوراة وأسلوبها دون غيرها. إذ اللغة العبرية كانت عنده وحدة متكاملة تبدأ بلغة التوراة، وتنتهي بكراسة الأطفال. فجاء عمله ضخما، ضم سبعة عشر جزءا، رتب خمسة منها في حياته وأتم ترتيب الباقي وإعداده، رأس الأكاديمية العبرية، طور سيناي، فأخرجه آخر سنة 1959[41]. وإذا كان المجال لا يسمح بالإسهاب في وصف هذا المعجم، فإننا نكتفي بالقول بأن ابن يهودا اعتمد المناهج المعجمية العربية من بين ما اعتمد، واعتبر العربية مصدرا مفضلا في كثير من ما صنعه من ألفاظ جديدة، سواء عن طريق الصياغة أو الإشتقاق أو النحت، وكذا في شرحه لكثير من غوامض الألفاظ التوراتية التي لم تشف فيها كتب التفسير غليلا. كان معجم ابن يهودا موسوعة لغوية أحيت ماضي اللغة العبرية، كما كان ملتقى للغات، إذ بالإضافة إلى ما سبق أن ذكرناه، فإن صاحبه يضع لكل لفظة مقابلها بالفرنسية والإنجليزية والألمانية. وتعد مقدمته، وسماها

(40) שמואל איזנשטדט, שפתינו העברית החיה, תל-אביב, 1967. ע 314
(صموئل ايزنشطدط، لغتنا العبرية الحية، تل أبيب 1967 ص 314).

(41) אלי עזר בן יהודה, המלון החדש
(الي عزر بن يهودا، المعجم الحديث، الطبعة الدولية نيورك ــ لندن، 1960 (طبعة 59).

المقدمة الكبرى، وطبعت في كتاب على حدة فيما يقارب الثلاث مائة صفحة، من أهم ما كتب عن تاريخ العبرية والساميات والمناهج المعجمية.

مات ابن يهودا سنة 1922، أي قبل الإعلان عن قيام إسرائيل بستة وعشرين عاما، حدث فيها فوق هذه الأرض، الكثير مما غير من المصائر، وتوالت عليها الهجرات العديدة، خصوصا بعد 1948، فقامت مدينة بابل من جديد، نظراً لتقاطر أجناس يهودية تعددت لغاتهم وألسنتهم، و لم يستطع عطار بن يهودا وحده أن يصلح ما أفسده الأقوام، فتوالت الحركة المعجمية متنوعة، وتتابعت فهارس النصوص المقدسة مثل فهرست التوراة والتلمود ولغة الربيين ولغة كبار المفكرين، وكثرت معاجم المصطلحات والمعاجم المتعددة اللغات والموسوعات العامة والخاصة. ولا يتسع المجال لذكر هذه الأعمال المتعددة والمتنوعة، غير أننا سنذكر بعض العناوين التي لها مغزاها مع ذكر سنوات الصدور، لأن هذه السنوات كافية بنفسها لتصوير هذه الحركة المعجمية، ووضعها في إطارها التاريخي والسياسي : ففي 1928 صدر العدد الأول من مجلة לשוננו (لغتنا) وهي أهم أداة لتطويع اللغة العبرية، وما زالت لحد الآن اللسان الناطق باسم مجمع اللغة العبري. 1925 صدر معجم المصطلحات التقنية. 1930 معجم النباتات ومعجم المصطلحات الكهربائية : التلفون والتلغراف. 1932 معجم الأسماء الجغرافية المصوبة بفلسطين. 1933 صدور معجم المصطلحات المهنية لسائقي القطارات. 1934 صدور المصطلحات الطبية وعلوم الطبيعة. 1936 صدور معجم مصطلحات فن الإعلام. 1938 صدور معجم مصطلحات مسك الدفاتر. 1946 صدور معجم نباتات فلسطين. 1947 صدور معجم مصطلحات النسيج، ومصطلحات المطافىء. 1950 صدور معجم علم النفس. بالاضافة إلى عديد من النشاطات الصحفية التي اعتبرت معركة اللغة العبرية واجبا مقدسا استرخصت من أجله كل شيء.

لم يعد معجم ابن يهودا وهذه الحركة كافيين للاستجابة لمتطلبات المستجدات، فدعت الضرورة إلى إيجاد معجم آخر يستدرك ما استجد، فظهر المعجم الحديث لابراهام بن شوشان، في سبعة أجزاء ما بين 1948 و1952. وظهرت أول طبعة منه سنة 1966، فتناول 71251 مادة مع أصولها السامية ومقابلاتها وشواهدها من كل عهود اللغة العبرية. وجاء فيه صاحبه بعشرين ألفا من الأقوال والأمثال والعبارات، عبرية ومعبرنة، وذيل الكل بذيل لمختصرْ نحوي وصرفي، وبأسماء المكاييل والأوزان والنقود والأعلام المشاهير.

لم تقنع كل هذه الأعمال المعجمية علماء اللغة اليهود المعاصرين، فظهر مقال في مجلة Ariel، وهي مجلة خاصة بالآداب والفنون، تصدر بإسرائيل (العدد 13 سنة 1966)، يدعو إلى وضع معجم تاريخي للغة العبرية، وهو مقال فصل فيه كاتبه بَنْ حيم، الدواعي التي دعته إلى التفكير في هذا المشروع، حيث بيّن أن فترة أربعين سنة، وهي الفترة الفاصلة بين إعداد معجم ابن يهودا وسنة 1966، تدعو إلى إنجاز مشروع المعجم التاريخي وبيّن المنهج الذي يجب أن ينبى عليه هذا المشروع. وظهر أول إنجاز من هذا المشروع سنة 1969، وقد اعتمد الحاسوب (النظام) كتابة وإنجازا وتحقيقا. ويستحق هذا العمل حديثا خاصا لتبيان طريقة الانتقاء والمنهج واختيار المصدر[42].

(42) המלון ההיסטורי ללשון העברית של האקדמיה ללשון העברית.
המפעל ודרכי עשייתו . ירושלים תשכ"ט
(المعجم التاريخي للغة العبرية، أكاديمية اللغة العبرية، العمل وطريقة إنجازه) القدس 1969.

وبهذه المناسبة نشير إلى أن هناك مشروعا آخر، تشرف عليه G. Bensimon-Choukroun وهي باحثة من السربون الخامسة، يهدف إعداد معجم لغات اليهود بشمال افريقيا، وهو جزء، كما أشارت إلى ذلك في مراسلة لي خاصة، مؤرخة ب 25 دجنبر 1986، من مشروع كبير هو معجم لغات يهود العالم.

إنها حركة معجمية نشيطة، فهل وضعت حدا للمشاكل اللغوية العبرية ؟

إن الصراع حول اللغة العبرية كان وما يزال، وهو صراع يتردد بين أقصى اليمين وأقصى اليسار، إذ هناك من يرفض استعمال اللغة العبرية لغة حديث، لأنها في نظره لغة إلهية، ولا يجب أن تستعمل إلا في ما هو إلهي. وهناك من يرفض هذه اللغة كما هي الآن، لأنها فتحت ذراعيها لكل دخيل وأجنبي، ويريد أن تكون صافية توراتية لا شية فيها. وهناك من يرفضها ويريد بها لغة اليدش بديلا. وهناك من يريد أن تكون كما هي عليه الآن، فهذا دليل على عودة الحيوية إليها وعصرنتها. ومقدمات المعاجم المتأخرة تنبىء عن ذلك، خصوصا مقدمات معاجم l'argot، أو معاجم ما أسماه اللغويون اليهود – «أبناء الزنا» – في اللغة.

إنه صراع ضروري في مجتمع تعلمت فيه الأمهات اللغة من أفواه أطفالها، مجتمع يغلق باب بيوته على عشرات اللغات، تبعا لأصول القادمين والمهاجرين، ويسير في الشارع ظاهريا، بلغة واحدة تضع قبعة الأوربي على رأسها وتتدثر بعباءة يعقوب. إنه المجتمع الذي أطلق عليه بعض علماء الاجتماع، المجتمع «الكوكتيل»، هذا «الكوكتيل» الذي ظهر حتى في لغة علماء اللسان والبحث والعرفان.